



الفصل السابع والثلاثون

دموع تنحمر

الثالث من تموز عام 2010م

إنّها الدقيقة التاسعة والثمانون. يشنّ الألمان هجوماً جديداً. يُنوّج المجهود الذي يبذله ميروزلاف كلوزه بهدف أخير لتصبح النتيجة (4-0). يستمر ميسي في الركض من منتصف ملعب الخصم. يصل خط منتصف الملعب، يتوقف لحظة واضعاً يديه على خاصرته، ينحني متكئاً على ركبتيه. يوشك أن يُجهش بالبكاء. لقد فقد الأرجنتيني ذو الرقم (10) بريقه، يُطأطئ رأسه غير مصدق لما جرى. يمرّ كلوزه بجانبه مُهللاً.

يفادر ميسي خافِضاً رأسه في اتجاه غرف تغيير الملابس لحظة إطلاق الحكم رافشان أرماتوف صافرة نهاية المباراة. يحاول كلٌّ من «الساحر» خوان سيباستيان فيرون ومدربّ اللياقة في المنتخب فيرناندو سيغوريني مواساته. ثمّ يعانقه ديفغو أرماندو مارادونا ويقبّله، لكنّه (ميسي) لا يجد العزاء في ذلك كلّه. يؤكّد الأزغب (مارادونا) لاحقاً ما تعنيه دموع ميسي التي انهمرت خلال تحدثه في المؤتمر الصحفي؛ إذ استشاط غضباً، قائلاً: «أيّ شخص يدعي أنّه ليس فخوراً باللعب مع منتخب بلاده فهو مجرد غبي».





ميسي

يشرح سيفغوريني الوضع قائلاً: «من الصعب رؤية ميسي على تلك الحال في غرف تغيير الملابس. قد يعتقد بعضهم أنه لا يحقّ له الشعور بذلك بسبب النجاحات التي يحقّقها في حياته. ولكن، لهذا السبب تحديداً أُجلب فتياً مثله؛ فهم يكسبون الملايين من الدولارات، لكنهم يجهشون بالبكاء في غرف تغيير الملابس، يُثبت ذلك أهمية الأمر بالنسبة إليهم».

تنتهي بطولة كأس العالم بالنسبة إلى ميسي بتلك الطريقة المليئة بالدموع، والإحباط، والألم، والشعور بقلّة الحيلة. غادر جنوب إفريقيا وهو يشعر بالفراغ والتيه وتأنيب الضمير؛ إذ لم يتمكّن من تسجيل ولو هدفاً واحداً. لقد خيب آمال المشجعين الأرجنتينيين، حلم كان -لوتحقّق- ليوأزي الإنجاز الذي حقّقه مارادونا في بطولة كأس العالم عام 1986م في المكسيك. وفشل في تأسيس ركائز لسمعة ناجحة برفقة الألبسيليستي. لقد غادر بطولة كأس العالم «خاصته» بعدما تعذّر عليه الظهور بمستواه الحقيقي؛ المستوى الذي مكّنه من الفوز بالكرة الذهبية، وأن يصبح النجم الأوحده للبارسا، لكنّه الآن مجرد نجم خافت، شأنه شأن واين روني، وكريستيانورونالدو، وكاكا، وفرانك ريبيري. إنّها نهاية مؤلمة لقصة بدأت على نحو مغاير...

سبعة وأربعون هدفاً شكّلت سبعاً وأربعين جوهرة على التاج الذي ارتداه ميسي في موسم 2009م-2010م، فاز خلاله بجائزة الحذاء الذهبي بوصفه هداف البطولات الأوروبية؛ إنجاز لم يتمكّن أحد من تحقيقه من قبل، ولو من بعيد. وتمكّن من التغلّب على المهاجمين في كلّ من: الدوري الإسباني، والإنجليزي، والألماني، والإيطالي بفارق كبير؛ فغونزالو هيفواين يملك (27) هدفاً في جمعته. أمّا دروغبا فسجّل (29) هدفاً، وأرين روبن (23) هدفاً، وأنتونيو دي ناتالي (29) هدفاً.





لعب ميسي في الدوري الإسباني أفضل من أي لاعب آخر، وحقق أفضل النتائج منذ انضمامه إلى الفريق الأول قبل ست سنوات. إنه هداف البطولة الذي تمكن من تسجيل هدفين في مباراة واحدة تسع مرّات، فضلاً عن تسجيل ثلاثة أهداف (هاتريك) أربع مرّات. لقد تمكن من تسجيل (34) هدفاً في الدوري معادلاً الرقم الذي حققه البرازيلي رونالدو في موسم 1996م-1997م. وتمكّن من تحطيم أحد الأرقام في سجّلات تاريخ البارسا؛ فأصبح أصغر لاعب في تاريخ النادي يتجاوز عتبة (100) هدف، متفوّقاً على كثير من المهاجمين الكبار، أمثال: ريفالدو، وروماريو، وإيتو.

كانت (34) هدفاً حسمت لقب الدوري الذي حازه البارسا في المباراة الأخيرة بفوز كبير على بلد الوليد بنتيجة (4-0)، كان نصيب ميسي منها هدفين. لقد حسموا اللقب بعد صراع مرير مع الغريم التقليدي ريال مدريد الذي يقوده كريستيانو رونالدو؛ إذ جمع البارسا (99) نقطة من أصل (114) ممكنة، ما يُعدّ رقماً قياسياً جديداً في الدوري الإسباني. لقد حاربوا بضراوة وبسالة في البطولة، مسجّلين (98) هدفاً، في حين استقبلت شباكهم (24) هدفاً فقط. ونجحوا في التغلّب على ريال فلورينتينو بيريث ذهاباً وإياباً. أمّا ليوفنچح في تخطي كريستيانو رونالدو الفائز بالكرة الذهبية عام 2008م، واللاعب الأعلى في التاريخ، والنجم الأول لفريق فلورينتينو. لقد نجح الفتى القادم من روزاريو في الوصول إلى القمّة بعد الفوز بأربعة ألقاب في الدوري الإسباني خلال ست سنوات. لكنّ الأهم أنّه وصل مرحلة النضج، وأظهر شعوراً بالاتزان بوصفه لاعباً أو إنساناً.

يشرح الذراع الأيمن لبيب غوارديولا، تيتوفيلانوفنا هذا الأمر، قائلاً: «لم يعد يحاول تسجيل هدف القرن كلّما استلم الكرة. لقد نضج وأصبح يعي أهمية





هيسي

اللعب للفريق، وأخذ يؤثّر بصورة أكبر في الفرق المنافسة، وصار إيقافه الآن أكثر صعوبة».

لقد كان موسمًا مميزًا بالنسبة إلى ليو إذا استثنينا النكستين اللتين تعرّض لهما. كانت الأولى في الثالث عشر من شهر كانون الثاني عام 2010م، على ملعب رامون سانشير بيثخوان، في مواجهة إشبيلية. لعب البارسا بأداء عالٍ، وقدّم أفضل ما لديه، وصنع الفرصة تلو الأخرى، لكنّ بالبوب (حارس مرمى إشبيلية) نجح في التصدي لها جميعًا باستثناء واحدة.

وكان إشبيلية قد نجح في الإطاحة بالبارسا من بطولة كأس الملك بفضل الفوز الذي حقّقه ذهابًا بنتيجة (1-2). إنّها المرة الأولى التي يخرج فيها البارسا من بطولة في عهد ييب غوارديولا. يشعر ميسي بالانفعال، ولا تتفع كلمات المواساة التي تأتيه من زميله الأرجنتيني غابرييل ميليتو.

أوضح غوارديولا ذلك، بقوله: «لو كان شخصًا آخر لقال: «لا مشكلة»؛ ففي جعبتي كأس العالم للأندية، ولقب الدوري المحلي»، لكنّه لا يفكّر بتلك الطريقة. لقد كان الأكثر حزنًا من بين الجميع».

حلّت النكسة الثانية في الثامن والعشرين من شهر نيسان عام 2010م، على ملعب كامب نو. فقد نجح إنتر مورينيو في إقصاء البارسا من دوري الأبطال بفضل مباراة دفاعية بامتياز، أداها بأسلوب رائع في ميدانه بميلان؛ ليخرج حامل اللقب الأوروبي من نصف النهائي، ويفشل في تحقيق مبتغاه بالوصول إلى المباراة النهائية المنوي إقامتها على ملعب البرنابيو. لم ينجح الفريق في العودة كما كان يأمل جماهيره؛ إذ ودّع البطولة بهدف الشرف الذي أحرزه بيكيه في الدقيقة الرابعة والثمانين، هدف لا يكفي لتعويض نتيجة مباراة الذهاب



التي انتهت لمصلحة الإنتر (1-3) على ملعب سان سيرو. كانت النتيجة (0-1) في مباراة الإياب لا تكفي الفريق لحجز تذكرة الوصول إلى نهائي مدريد.

تتحطّم جهود البارسا أمام دفاع الإنتر المكوّن من (11) لاعبًا، وحتى المكوّن من (10) لاعبين بعد طرد تياغو موتا. لم يتمكن ميسي الذي سجّل أربعة أهداف في مرمى آرسنال فينغر من تسجيل أيّ هدف في فريق قائده مورينيو، والحديث هنا عن تشيلسي والإنتر. لم يكن أداؤه مميّزًا، لكنّ ذلك لم يمنع غوارديولا من الدفاع عنه، بقوله: «لا يوجد سبب لانتقاده. لقد لعبوا بستة مدافعين، اثنان منهم كانوا يراقبونه مراقبة لصيقة؛ سواء أكان في منطقة الوسط أم على الجناح». وقال مُدافعًا عن الفريق: «لا يوجد سبب يدعوهم إلى تقديم الاعتذار بعد هذه المباراة. أنا فخور بهم جميعًا». ثمّ يُرسل رسالة واضحة إلى المشجعين مفادها أنّه آسف لفشله في الوصول بالفريق إلى نهائي مدريد، ويعد بالمحاولة في السنة القادمة. لكن، وفي غضون ذلك يؤكّد «أنّه سيجمع شتات الفريق، ويواصلون المسيرة معًا».

وقد نجح في ذلك فعلاً؛ ففي السادس عشر من شهر أيار، أنشدت المدينة بأكملها: «نحن الأبطال، البارسا هم الأبطال». وحمل ليو الميكروفون في أثناء الاحتفالات باللقب، صارخًا: «هيا يا أرجنتين، هيا أيّها المجانين»، وسط عاصفة من التصفيق والأهازيج التي صدحت بها حناجر جماهير البلاوغرانا. إنهم يريدون منه أن يلعب على نحو جيد مع منتخب بلاده؛ أمنية يتّمنّاها أيضًا الشعب الأرجنتيني بأكمله.

يصل ميسي إلى مطار إيزيزا ببوينوس آيرس، حيث سينضم إلى معسكر المنتخب التدريبي، ثمّ يصرّح قائلاً: «لقد حلمنا جميعًا برفع كأس العالم. لا يتعلّق الأمر بمنحه اللاعب مزيدًا من الأهمية، وإنّما - ببساطة - بجعله يمرّ





ميسي

بأفضل اللحظات إثارة في حياته. لقد غادرت بطولة كأس العالم لعام 2006م، وعيوني تفيض بالدمع بعد هزيمة الفريق أمام منتخب ألمانيا. أمل أن أغادر جنوب إفريقيا بالدموع أيضاً. ولكن، بدموع الفرح هذه المرة». ثم يضيف: «اللعبة برفقة المنتخب الوطني هو أمر مختلف تماماً عنه مع برشلونة؛ نظراً إلى ضيق الوقت الذي نقضيه هنا في التدريب والممارسة. لا أقصد بذلك أن المنتخب الوطني هو الأسوأ، بل هو الأفضل في العالم، لكننا لانملك الكثير من الوقت للعمل. فكل شيء يحدث بسرعة؛ إذ نتجمع مدة يومين، ثم نخوض مباراة. يختلف الوضع عندما نكون في مجموعة مدة طويلة. سنحافظ على هدوئنا ورباطة جأشنا عندما نتوجه إلى خوض البطولة. نعلم أننا لسنا المرشحين لإحراز اللقب، لكن ذلك أفضل بالنسبة إلينا؛ لأننا نستطيع وقتئذٍ إحداث المفاجآت.

يستحوذ البرغوث هذه المرة على اهتمام وسائل الإعلام والجماهير من مختلف أنحاء العالم. حتى إنّ الزعيم الكوبي (السابق) فيديل كاسترو الذي لم يظهر علانية منذ أربع سنوات من جرّاء المرض، أشاد بالعبقرية التي يتمتع بها ميسي. فقد وصف المهاجم الأرجنتيني في مقالة تنتقد فضائح الإمبريالية التي تنتهجها الولايات المتحدة، بعنوان «على حافة المأساة»: «إنّه سريع كالبرق، يسدّ الكرة بسرعة خارقة؛ سواء بقدمه، أو برأسه».

واصل ميسي تسجيل النقاط فيما يخصّ المقارنة بمارادونا في الأرجنتين، على الرغم من حقيقة أنّ قلوب كثير من مواطنيه ما زالت مُعلّقة بدييغو. وفي حال استطاع ميسي الظهور بصورة رائعة مع منتخب الأرجنتين، والعودة بكأس العالم الذي يحلم به المشجعون منذ عام 1986م، فربّما - عندئذٍ - سيتخلّص من عباءة الأزغب إلى الأبد. مارادونا - ميسي، ميسي - مارادونا... يبدو





أنّ العلاقة بين الاثنتين قد أصبحت متزنة بعدما خالطها كثير من التقلبات والانتقادات والتصريحات المتضاربة، وكلّ الإشارات إلى عقدة أوديب.

لعب ميسي إحدى عشرة مباراة مع المنتخب منذ تولي مارادونا مهمة تدريبه، لم يتمكّن في أثنائها من تسجيل سوى ثلاثة أهداف. ثمّ تأتي أسوأ لحظاته مع الفريق في الرابع عشر من شهر تشرين الأول عام 2009م، حين يُبهم بعدم الاحتفال بالهدف الذي سجّله ماريو بولاتي في مرمى الأوروغواي، وهو هدف كفل للأرجنتين مكاناً في مونديال جنوب إفريقيا. ترتئي والدته سيليا التدخل للدفاع عن ابنها، فتقول: «إنّ تحدّث الناس عنه بسوء يُسبّب له الألم والحزن. لماذا يسعون للنيل منه دائماً؟ إنّ هذا الأمر يؤثّر فيه كثيراً، لدرجة أنّه يصعب عليه التعايش معه أو تقبّله بصورة أو بأخرى».

لا يُحسّن ليو التعامل جيداً مع الأزمات؛ إنّهُ أمر يعرفه زملاؤه في برشلونة جيداً. ومع ذلك، فهو لا يحصل على أيّ دعم من مارادونا. لقد طُفح الكيل؛ ما دفعه إلى الاتصال بالمدرّب، وإخباره بعدم رغبته في اللعب مع الألبسيسيلستي بعد الآن.

اتجه مارادونا على جناح السرعة إلى برشلونة في محاولة منه لاحتواء الأزمة. وهناك، أخذ الاثنان يتحدّثان إلى بعضهما بمنتهى الصراحة للمرّة الأولى. حاول المدرّب أن يُهدئ من روعه، وأخبره أنّ الأمور ستكون على ما يرام من الآن فصاعداً. لقد مثّل ذلك اللقاء لحظة مفصلية في تحوّل العلاقة التي تجمع الاثنتين معاً.

نصّب ديبغو نفسه مُحامياً ليو، ومُدافعاً عنه، وأفرط في تدليله. فقد أكّد قبل آخر المباريات الاستعدادية لبطولة كأس العالم التي سيواجه فيها المنتخب الأرجنتيني نظيره الكندي، قائلاً: «لا أعرف رأي الناس في ليو. ولكن بمقدوري





ميسي

قول وجهة نظري أنا. أعتقد أنه الأفضل في العالم، وأنه أرجنتيني. لقد أخبرت اللاعبين فيما مضى بأنه إذا حصل ليو على الكرة فسنوجد الكثير من الفرص. أحاول أن أزرع في عقولهم روح الفريق، مُذكِّراً إياهم بضرورة تهيئة الظروف لميسي؛ كي يقدم أداءً مماثلاً لما يقدمه مع البارسا. يعي ميسي أن زملاءه يريدون منه أن يكون جوهرة التاج، وأن يكون القائد. فأخر ما يتطلعون إليه هو أن يلعب وحده في أثناء التدريبات أو المباريات. لا يمكنهم إمرار الكرة إليّ بعد الآن، فقد اعتزلت اللعب... لذا، إن لم يمرروها إلى ميسي فستذهب جهودنا أدراج الرياح».

عمل الأزغب على حمايته والاعتناء به، ومنحه الثقة، لكنّه كان - في الوقت نفسه - حذراً بسبب التجربة الشخصية التي مرّ بها. وقد أوضح مارادونا ذلك الأمر، قائلاً: «يحظى ميسي بدعم أكبر ممّا حظيت به أنا قبل مونديال المكسيك عام 1986م. لقد توليت قيادة الهجوم آنذاك، وتحكّمت في الكرة والفريق معاً. كنت أبدأ التخطيط واللعب ليتبعني زملائي فيما بعد. لقد شرحت الموضوع لميسي كي يقوم بالدور نفسه في جنوب إفريقيا، وهو يعي الأمر جيداً. لقد تحدثنا كثيراً في هذا الموضوع، وأحاول التأكّد من أنّ الأمور على ما يرام».

أخبر اللاعبين المخضرمون في الفريق، في بداية المعسكر التدريبي، بضرورة «جعل ميسي يشعر أنّه الأفضل». ولضمان العناية به، فقد وضعه في الغرفة نفسها مع «الساحر» فيرون الذي كان مرشد ميسي في أثناء بطولة كوبا أمريكا عام 2007م. وقد أظهر كلا اللاعبين انسجاماً وتناغمًا فيما بينهما.

وقد أشار مارادونا إلى ذلك في مقابلة أجراها مع صحيفة كلارين الأرجنتينية، قائلاً: «أنا أعتني به جيداً. الساحر لاعب مخضرم وأكثر خبرة من ليو. لكنهما ينسجمان في الحديث، وهو أمر يسرّني كثيراً».





بدأت ملامح الهدوء والرضا على ليو حينما كان يتحدث، والظاهر أنه أصبح جاهزاً للعب، وإحداث الفارق.

اقرب موعد المباراة الأولى في مرحلة المجموعات، حيث ستواجه الأرجنتين منتخب نيجيريا. صرّح مارادونا للصحافة، في أثناء المؤتمر الصحفي الذي سبق المباراة، بالآتي: «ما زال المنتخب الأرجنتيني قوياً كسيارة رولز رويس، لكن الاختلاف يكمن في أن ميسي هو من يقودها الآن». كما ذكره - ببساطة- أن يكون قائداً فذاً، واللاعب الأبرز على مرّ العصور.

أحيط ميسي بهالة من الاهتمام والحفاوة والمديح يوم السبت الموافق للثاني عشر من شهر حزيران، على ملعب أليس بارك في جوهانسبيرغ. إنه أفضل لاعبي المنتخب الأرجنتيني، وهو القادر على بثّ الحماسة بين صفوف الألبيسيلستي، ناهيك عن تفهمه لحاجات فريقه، والنظر إليه بوصفه اللاعب الأكثر نشاطاً في خطّ هجوم الفريق. أينما تُوّلي وجهك تشاهده يلعب بعزيمة لا تعرف الكلل؛ فتراه خلف المهاجمين، وعلى الجناح، وعلى خطّ الهجوم. إنه يجيد تمرير الكرات العرضية، ويصنع كثيراً من الفرص أمام المرمى (يضيّعها تيفيز وهيغواين)، إنه الأكثر حماسةً، وتسديداً على المرمى (ثمانية تسديدات، أربع منها بين الخشبات، تصدّى لها بمهارة حارس المنتخب النيجيري ونادي ليل الفرنسي فينسينت إنياما. لقد أبلى هذا الحارس بلاءً حسناً مكنه من الفوز بجائزة أفضل لاعب في المباراة.

قال إنياما لاحقاً: «أشكر الله، ثم أشكر ميسي على الفوز بالجائزة، فما قمت به من تصدّد للكرة كان بفضل الله. أنا مؤمن بالله، وعلى الرغم من أنني درست الأهداف التي سجّلها ميسي في الدوري الإسباني، إلا أنني لم أكن لأنجح لولا فضل الله. عليّ الاعتراف أيضاً بأنني لم أكن لأربح الجائزة لولا منازلتي لأفضل لاعب في العالم».





ميسي

تنتهي المباراة بفوز الألبسيليستي بهدف بعد رأسية من غابرييل هاينزه، فيندفع مارادونا في اتجاه ميسي، حاملاً إياه بين ذراعيه. ثم يضمه بشدة إلى بزرته وربطة عنقه الثمينتين، ويقبله بحرارة.

يُعدّ الأزغب المدرب الوحيد، في تاريخ بطولة كأس العالم، الذي يُقبل لاعبيه بعد كل مباراة، أو عند كلّ تبديل، لكنّ في قبلتيه لميسي اعترافاً بالمجهود الذي بذله هذا الأخير من أجل الفريق.

يشير مارادونا، وهو يقضم تفاحة في أثناء المؤتمر الصحفي الذي أعقب المباراة، إلى أنّ «ميسي استحوذ على الكرة طوال المباراة، وأنّه كان يستمتع كلّما كانت الكرة بحوزته، ومن ثمّ كان يمتعنا جميعاً». لم يكن الأزغب الشخص الوحيد الذي يكيل المديح للبرغوث؛ فالعناوين الواردة من الأرجنتين وإسبانيا تُجمع على أنّ ليو كان أفضل لاعب في فريقه، وأنّه هو من قاد فريقه إلى النصر؛ نصر كان من المفروض أن يكون أفضل ممّا كان. وقد أجمعت الآراء على أنّ منطقة اللعب التي خصّصها مارادونا لفتى روزاريو خلف المهاجمين آتت أكلها، وأنّها تشبه الموقع المثالي الذي احتلّه مارادونا أيام عزّه. في المقابل، لم ينس المنتقدون الخلل الواضح الذي عاناه الفريق في خطّي الدفاع والوسط، ولم ينسوا التبديلات التي أجراها المدرب في الدقائق الأخيرة، وتسببت في معاناة الفريق. لكنّ الفريق نجح في التأهل للدور الثاني على الأقل، بفضل الانتصار الذي حقّقه الجميع، بمنّ فيهم ميسي بطبيعة الحال.

تستفيق الأرجنتين فرحة في اليوم اللاحق. وفي الثالث عشر من شهر حزيران، يدخل ميسي بصحبة غونزالو هيغواين إلى قاعة الصحفيين في معسكر الفريق في بريتوريا، ويقول بأسلوبه الهادئ نفسه: «لقد كانت مباراة جيدة. حظيت فيها بالكثير من حرية الحركة، وتلقّيت دعماً كبيراً من زملائي





في الفريق. كما تمكّنت من لمس الكرة بصورة أكبر. قمت بالتسديد من أمكنة أبعد من تلك التي اعتدتها، وقد فضّلت ذلك مع أنني ملكت خيار التقدّم إلى الأمام».

وحين سأله الصحفيون عن مدى اتكال الفريق عليه، ردّ قائلاً: «الفريق لا يعتمد عليّ وحدي. بل على العكس؛ فأنا من يعتمد على لاعبي الوسط للحصول على الكرة». لا يتصرّف ميسي كعادته كالنجم المطلق، ويُردّد دائماً: «أنا مجرد لاعب في الفريق». من الواضح أنّه يشعر بالسعادة مع الفريق، ويؤكد ذلك بقوله: «أشعر بالسعادة نفسها التي تراودني حين ألعب مع البارسا. أعرف أننا سنلعب بصورة أفضل من دون الضغوط التي واجهتنا في أثناء التصفيات. لقد استمتعت جدّاً في مباراتنا أمام نيجيريا».

من الواضح أنّ الحال قد تغيّر، وأنّ الماضي قد أصبح نسيّاً منسياً، تماماً كما نوّه بذلك في مقابلة مع قناة تاي سي سبورت: «لم أكن على طبيعتي مع المنتخب الوطني. لم أكن ألعب بالطريقة نفسها التي ألعب بها مع برشلونة، لقد كان الأمر واضحاً. لكنني دائماً ما حظيت بالدعم من ديبغو، وبفضل الثقة التي منحني إيّاها زملائي في الفريق، فقد تغيّر كلّ شيء الآن. لقد تناسيت ما حصل في أثناء التصفيات، وكنت على ثقة بأننا سنبدأ بداية جديدة في النهائيات. كان عليّ استغلال ذلك. والآن، سأظهر للجميع معدني الحقيقي، ويتعيّن عليّ مواصلة ذلك. أودّ لو يشعر الأرجنتينيون حيالي بالشعور نفسه الذي أحظى به من جمهور برشلونة. يتعيّن عليّ مواصلة إثبات جدارتي، وشكراً لله على عودتي إلى الطريق الصحيح».

أعدّ الأزغب مفاجأة كبيرة لليو، أخبره بها في غرفته قبل الموعد بيوم. شعر ميسي بسعادة غامرة؛ فسوف يرتدي شارة القيادة أول مرّة. وبعد مباراة





هيسي

شاقّة أُقيمت في أجواء باردة على ملعب بيتر موكابا في مدينة بولوكواني، تغلّب فيها منتخب الأرجنتين على منتخب اليونان بنتيجة (2-0)؛ نجح الفريق بتحقيق انتصاره الثالث الذي ضمن له التأهل لدور الستة عشر في صدارة المجموعة. تحمّل القائد وطأة المراقبة اللصيقة من باباستاثوبولس؛ إذ كان صاحب الرقم (19) يتحرّك مع ميسي طوال المباراة كظله. وكلّما تمكّن ميسي من التخلّص منه، وجد نفسه محاطاً بثلاثة لاعبين آخرين من المنتخب اليوناني. وفي هذه الأثناء، كان مارادونا - من على الدكّة - يتألّم، وهو يشاهد تلميذه يتعرّض للإعاقة تلو الأخرى، وكره أن يشاهده محاصرًا بهذه الصورة.

تمكّن ليوم من التحرُّر فقط بعد الهدف الذي سجّله ديميكيليس؛ فقد اتسعت له مناطق اللعب جميعها، وتمكّن من إظهار معدنه الحقيقي. فتراه يتجاوز اللاعبين، ويُسدّد بقوة بقدمه اليسرى، لكنّ كرته ترتطم بالقائم. ثمّ ينطلق من الجانب الأيمن عند الدقيقة الثامنة والثمانين، ويلعب الكرة بطريقة (واحد- اثنين) مع دي ماريا، مُسدّدًا على القائم البعيد. ومع أنّ الحارس تزورفاس تمكّن من التصدي لتسديدة ميسي، لكن المخضرم مارتن باليرمو استطاع استغلال الكرة المرتدة، مُسجّلًا هدف الاطمئنان لفريقه، وجاعلاً مارادونا في قمة السعادة.

حلّ يوم الرابع والعشرين من شهر حزيران؛ إنّه عيد ميلاد ميسي الثالث والعشرون. وفيه صرّح بالآتي: «لقد وصلت إلى ما أنا عليه اليوم بفضل ما علّمني إياه مارادونا». فيعقب مارادونا قائلاً: «أشعر بالإطراء، لكنّ ليو على ما هو عليه اليوم؛ لأنّه يريد أن يكون كذلك. يمكنكم ملاحظة السعادة التي يشعر بها. إنّه يستمتع بوقته، ويودّ اللعب بشدّة وحماسة. لذا، أقول لكلّ من اعتقد أنّ ميسي لا يمكنه التفاعل مع المجموعة، وأنّه يبدو حزينًا دائمًا: ومن يحبّ الخسارة؟ لقد خسرنا في أثناء التصفيات. لكنّ الوضع قد تغيّر الآن، والجميع يشعر بالفخر؛





لأنهم جعلوا ميسي سعيداً، خاصة زملاءه في الفريق». استمر مارادونا في كيل المديح، قائلاً: «لا أحد يساوي 30% من قيمة ميسي في بطولة كأس العالم هذه. لا أحد يستطيع مجاراته».

يواجه الأرجنتين المنتخب المكسيكي في دور الستة عشر، يوم السابع والعشرين من شهر حزيران، على ملعب سوكر سيتي في جوهانسبيرغ. خسر ميسي الرهان مع مارادونا؛ نظرًا إلى فشله في تسجيل أي هدف. لذا، قال صاحب الرقم (10) ممازحًا بعد نهاية المباراة: «يتعين عليّ التسجيل في مرمى ألمانيا، وإلا فسينتهي أمري».

تمكّنت الأرجنتين من التغلب على المكسيك التي يقودها المدرب خافيير أغيري بنتيجة (3-1) بأقل مجهود. فقد افتتح تيفيز التسجيل بهدف يبدو فيه التسلُّ واضحًا. يقول ميسي الذي هبّأ كرة الهدف الذي سجّله «الأباتشي» تيفيز بالرأس: «اعتقدت لوهلة أنهم سيلغون الهدف؛ لأنهم كانوا ينظرون إلى الإعادة. ولكن، لحسن الطالع فقد أقرّوا بصحة الهدف».

لا تبدو المباراة سهلة بالنسبة إلى ميسي الذي يبدو عليه الانزعاج؛ إذ تحتم عليه مرارًا العودة إلى منتصف الملعب للدخول في أجواء اللعبة. يلعب خطّ وسط الألبيسيلستي على نحو سيئ، وذلك دفع البرغوث إلى الاعتماد على نفسه، واللعب بعيدًا عن المنطقة التي يشكّل فيها الخطر الأكبر. أشعل هذا الأمر النقاش مجددًا بشأن الموقع الذي حدّد لصاحب الرقم (10)، وخطّ وسط الفريق، والتشكيلة التي اختارها مارادونا. وفي ذلك، كتبت صحيفة كلارين متسائلة: «لقد وصل الفريق إلى ربع النهائي، لكنّ أبرز نجومه (ميسي) مُختفٍ عن الأنظار، كما كان عليه الحال في المباراة الأولى من دور المجموعات. فهل هو في موقع يساعده على الأداء بأفضل ما لديه؟ هل يحظى بالدعم اللازم؟».





ميسي

تدعو الصحيفة الأرجنتينية هذه إلى إحداث تغيير في خط الوسط؛ لمنح ميسي الحرية، كي لا يضطر إلى الجري بعيداً عن المرمى، فهم في نهاية المطاف لن يقوموا بوضع أفضل لاعبي العالم على الدكة.

جمعت المواجهة اللاحقة منتخب الأرجنتين بالمنتخب الألماني الذي أقصى نظيره الإنجليزي ومدربه فابيو كابيللو. ضم الفريق الذي يدرّبه خواكيم لوف مجموعة خاصة من «الماكينات» التي تتميز بكرة قدم متطورة واستعراضية، يديرها نخبة من اللاعبين المتميّزين، من أمثال: مولر، وأوزيل، وخضيرا، وكروس. إنه فريق يجلب ذكريات سعيدة وأخرى حزينة للأرجنتينيين: الانتصار بنتيجة (2-3) في نهائي بطولة كأس العالم عام 1986م في المكسيك، ودموع مارادونا التي انهمرت بعد الخسارة في نهائي البطولة نفسها عام 1990م في إيطاليا، والخسارة بركلات الترجيح في ربع نهائي هذه البطولة عام 2006م. ستكون الذكريات حزينة هذه المرة أيضاً. فقد حطمت ألمانيا آمال الأرجنتين بفوز صريح تحقّق من لعب جماعي متميّز في الأداء والمهارة. إنه نصر مؤزّر حقّقه فريق شفانشتايغر على الأرجنتين التي اكتفت بالأحلام، والحماسة، والكثير من الفوضى التكتيكية.

وبذا، فقد فشلت خطة مارادونا التي نالت الإعجاب بإنصاف ميسي مرّة تلو الأخرى، وفي أكثر المباريات أهمية. لقد حاول تنظيم اللعب وتوجيه دفته. ولكن، باستثناء بعض الاقتحامات العقيمة، والاعتراضات الغريبة، وتسديدتين بعيدتين، فلا شيء يُذكر، سوى القول: إنّ شفانشتايغر وزملاءه نجحوا في إيقافه من دون أن يضطروا إلى ارتكاب ولو خطأ واحداً.

خسر ليو الكرة (12) مرّة، ولم ينجح في استعادتها، كلّ ذلك بسبب لعبه بعيداً عن المرمى. لقد ألمته حقيقة أنّ زملاءه لم يمرّروا له الكرة في المرّات





القليلة التي نجح فيها بالتملص من الرقابة. لقد تُركَ وحيداً، معزولاً، يواجه خطر الفرق من دون أدنى مساعدة.

سجله التهديفي يبعث على الأسى؛ فقد لعب خمس مباريات، وسدّد أكثر من أيّ لاعب آخر (ثلاثون مرّة، اثنتا عشرة منها بين الخشبات، واثنتان ردهما القائم)، لكنّه لم يكن محظوظاً قطّ في التسجيل. ذلك ليس أسوأ ما في الأمر؛ فمئذ مبارياته الأولى أمام نيجيريا، أصبحت مكانته تتقلص شيئاً فشيئاً. لقد عدّه الجميع لاعباً خارقاً قادراً على فعل أيّ شيء، لكنّه ظهر أمام ألمانيا لاعباً عادياً. الإمّ تُعزى هذه الكارثة؟ من المُتسبّب فيها؟ أهو اللاعب الذي يرقّ للمناسبة؟ أم الموقع الذي حدّده له مارادونا، تاركاً إيّاه بعيداً عن المرمى؟ أم ربّما تشكيلة (5-1-4) التي جازف بها مارادونا، وأثبتت فشلاً ذريعاً أمام الألمان؟ استقر الأمر في نهاية المطاف، على عزو ذلك إلى نقص عدد لاعبي الوسط؛ فالجميع مقتنع أنّه لو كان عددهم أكبر لأتاح ذلك ظروف لعب أفضل لليو.

روت العناوين الصادرة في الصحف الأرجنتينية في اليوم المقبل، القصة على لسان كثير من الخبراء والنقاد والمحليلين:

كلارين: «المنتخب الوطني يتعرّض للإدلال في بطولة كأس العالم. أسوأ نتيجة منذ عام 1974م».

لانا سيون: «ألمانيا تسحق الأرجنتين».

أوليه: «لا أهداف أو مجد لميسي».

بيرفل: «ميسي والأرجنتين يذرفون الدموع».

وصف مارادونا الوضع بعد المباراة بقوله: «إنّها أصعب لحظات حياتي، يا لها من صدمة مؤلمة!». أمّا ميسي فقد لاذ بالصمت، ولم يتمالك نفسه؛ فأجهش بالبكاء.





ميسي

وبعد أيام عدّة، نشرت مدوّنة صينية تُدعى تينسينت - على صفحتها - قولاً لميسي، جاء فيه: «ينتابني شعور سيّئ جداً. أريد العودة إلى البيت. لقد لعبنا بصورة مبتذلة، وخبّينا أمل الجميع، يتعيّن علينا البدء من جديد الآن».

عندما سجّل زميله في البارسا أندرياس انيستا هدفَ الفوز الذي منح إسبانيا لقبها الأول في بطولة كأس العالم، كان ميسي في مكان بعيداً جداً عن جنوب إفريقيا. وقد حرصت عدسات مصوري المشاهير على التقاط صور له في أثناء وجوده بريودي جانيرو برفقة صديقه، وهو مكان ليس ببعيد عن ذلك الذي سيحتضن بطولة كأس العالم عام 2014م. سيكون ميسي في سنّ السادسة والعشرين آنذاك، وهي السنّ نفسها التي تمكّن فيها مارادونا من الفوز بكأس العالم عام 1986م، ونصّب نفسه ملكاً على العالم... مَنْ يدري؟ فربّما ينجح في التتويج حينها.

